أمريكا

تأليف

ستيفن فنسنت بنيه
STEPHEN VINCENT BENÉT

ترجمه من الأنجليزية

عبد العزيز عبد المجيد

القاهرة
مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات
١٩٤٥

★ ★ ★

نشر هذا الكتاب بالعربية لأول مرة في يوليو سنة ١٩٤٥

ونشره مكتب الولايات المتحدة للاستعلامات
١ ميدان قصر الدوبارة القاهرة
مصر

طبع وجلد في المكاتب المصرى
بالقاهرة

★

جميع الحقوق محفوظة
للسيدة روزماري كاريتيه
منذ سنة ١٩٤٤م

محتويات الكتاب

أمريكا	٧
البذور الأولى عبر المحيط	١٢
الهجرة العظيمة	٢٨
الثورة	٤٨
الدستور	٦٨
دعائم البيت	٧٠
الجمهورية الناشئة	٨١
أبرهام لنكولن	١١٤
الحرب الأهلية	١٢٢
التعمير	١٢٨
عصر البرونز وعصر الرصاص	١٣٣
أمريكا في مصاف الدول العظمى	١٤٧
أمريكا التي نعرفها	١٦٠
أمريكا والعالم	١٦٩
وماذا بعد الحرب ؟	١٨٤

الولايات المتحدة الأمريكية فى سنة ١٩٤٥

تبين هذه الخريطة الولايات الثانى والاربعين والمدن الكبرى فيها

★ ★ ★

خـــرائط

★ الولايات المتحدة الأمريكية فى سنة ١٩٤٥ ٦

★ المستعمرات الثلاث عشرة الأصلية ٣١

★ اشتريت لويزيانا سنة ١٨٠٣ ٩٣

★ الولايات التى أباحت الاسترقاق
والأخرى التى حرمته فى سنة ١٨٦١ ١٢٣

★ بلدان ملحقة بالولايات المتحدة أو تابعة لها ١٥١

أمـــريـــكا

هنالك بلاد هى بلاد الرجاء ، بلاد هى بلاد الحرية ، بلاد تزح إليها من كل أمة من أمم العالم أناس متباينون ، ولكنهم يعيشون بها الآن فى وئام ، وتحت سماء واحدة رحبة ، وهم يذهبون إلى أى معبد يشاءون ، كاثوليكياً كان هذا المعبد أو بروتستانتياً أو يهودياً أو إسلامياً أو بوذياً ، دون أن يضطهد منهم أحد بسبب دينه . وسكان هذه البلاد رجالاً ونساء ينتخبون من يشاءون ليحكمهم ، وهم يسقطون هؤلاء الحكام بالتصويت لا بالثورة إذا أدركوا أنهم لم يحسنوا صنعاً ، وهم ينتقدون صراحة فى كل وقت حكومتهم والطريقة التى تدير بها دفة الأمور ، ولكنهم مع ذلك يظلون مخلصين لمبدأ واحد ، و بلاد واحدة ، وعلم واحد .

أما العلم فهو علم النجوم والأشرطة .

وأما البلاد فهى الولايات المتحدة .

وأما المبدأ فهو الديمقراطية .

وليست هذه البلاد فردوساً أرضياً ، ولا جنة كجنة عدن ، ولا هى قد بلغت نهاية الكمال . إنها لا تدعى لنفسها شيئاً من ذلك . إنها لم تحل بعد كل مشكلة من المشاكل المرتبطة بكيف يجب

أن يعيش السكان رجالاً ونساء . وقد أخطأت فى الماضى فى إدارة أمورها الداخلية كما أخطأت فى الأمور العالمية ولكنها مع ذلك تتطلع دائماً إلى المستقبل ، مستقبل يعيش فيه الرجال والنساء أحراراً ، يتوافر فيه الغذاء والعمل ، وتتوافر فيه الطمأنينة والحرية لبنى الإنسان .

إنها لا تريد أن تحكم العالم ، أو أن تكون لها إمبراطورية أمريكية يصير فيها الأمريكيون الشعب السيد وغيرهم الشعوب المسودة . وإنك إذا سألت أمريكياً قحاً عما إذا كان يؤمن بوجود شعب سيد ، نظر إليك مستغرباً أو ضحك كثيراً ، فإن الأمريكيين لا يؤمنون بنظرية سيادة شعب على غيره .

إنها بلاد حرب وكفاح ، نشأت فى حروب واتحدت فى حروب . وهى مستعدة دائماً وراغبة فى أن تقاتل من أجل ما تؤمن به من عقائد راسخة . إنها لم تخسر قط حرباً واحدة ، ولكنها لا تعتقد أن الحرب والروح الحربية هما غرض الإنسان وهدفه . إنها تحيى ذكرى العظماء من قوادها الحربيين أمثال واشنطن Washington ، وجرانت Grant ، ولى Lee ، كما تمجد أولئك الذين يحاربون اليوم من أجلها ، ولكن كل واحد من هؤلاء الرجال حارب من أجل شىء أسمى من الفتح . فلما وضعت الحرب أوزارها قالوا : دعونا نعش فى سلام ، دعونا نبنى

ونعمر فى الأرض ، دعونا نعمل وننشىء ، دعونا ننتج شيئاً لم يكن من قبل ، دعونا نجعل بلادنا مكاناً صالحاً يستطيع أن يعيش فيه الناس فى مودة وحسن جوار .

إن أمريكا لبلاد غريبة من بعض نواحيها . نعم إنها حديثة بين أمم العالم ، ولكن نظام الحكم فيها قد امتد به العهد إلى ما ينيف على قرن ونصف . وله من المرونة ما يجعله ملائماً للظروف المتغيرة من غير إحداث تغييرات أساسية فيه . ويجلس الآن فى البيت الأبيض رئيس الولايات المتحدة الثالث والثلاثون ، كما أن الكونجرس منعقد الآن فى دورته التاسعة والسبعين ، وكلاهما وليد رغبة الشعب . ومنذ اليوم الذى صار فيه دستور الولايات المتحدة قائماً استمر الحكم فى يد الشعب ، وظلت رغبة الشعب هى السائدة . ولقد تمتع الشعب الأمريكى دائماً منذ البدء بفرصة إصدار حكمه على الأمور ، وعمل أخطاء وإصلاحها ، ثم السير إلى الأمام قدماً . ولا يقصد بكلمة « الشعب » فى أمريكا طبقة بذاتها ، أو طائفة ممتازة أو جماعة معينة من الناس ، بل يقصد بها أنا وأنت وجارنا ، يقصد بها الجزار والخباز والمزارع والعامل والمحامى والطبيب وربة البيت . إن كلمة « الشعب » تعنى كل فرد من أفراد الأمة .

و بفضل هذا النوع من الحكم أصبحت الولايات المتحدة أمة

راقية غنية ذات ثروة صناعية وغذائية عظيمة . غير أنه إذا نزلت فى أية جهة من جهات العالم كارثة فيضان أو حريق أو زلزال أو نكبة من النكبات ، بادرت الولايات المتحدة بإرسال الطعام والأدوية الأمريكية إليها ، وذهب الأطباء والممرضات الأمريكان لنجدتها . لقد ذهبوا هنالك لاعتقادهم أن هذا واجب عليهم .

وأما أعداؤنا فلا يرون فى الولايات المتحدة إلا خليطاً من ذوى الملايين ورجال العصابات والضعفاء ونجوم السينما والسياسيين الفاسدين والنساء الكسالى وعامة الشعب الذين عضهم الجوع وتملكتهم الأثرة . وفى الحق أننا معشر الأمريكيين لا يهمنا أن يقول أعداؤنا ذلك عنا فإنهم لا يمكنهم أن يوجهوا إلى هذه البلاد التى نؤمن بها ونحبها انتقاداً أكثر عنفاً وشدة مما سبق أن وجهه إليها أمريكيون أوفياء مخلصون فى الماضى وفى الحال .

وكل مجند أمريكى فى هذه الحرب يسير مندفعاً بروح الأمة التى يحارب من أجلها . نعم قد يسىء بعض الأفراد المجندين فهم هذه الروح ، أو ينسونها ، أو لا يحسنون التعبير عنها ، بل قد يخونونها . ورغم هذا فهى باقية . ونحن لا ندعى أننا قد أرسلنا إلى الميدان جيشاً من الملائكة . فما هم إلا أمريكيون عاديون نشأوا فى جو من الحرية وهم يحاربون من أجلها . وهذا كل ما فى الأمر . فمنهم طويل القامة ومنهم قصيرها ، ومنهم أسمر الوجه ومنهم أبيضه ،

ومنهم الثرثار ومنهم الصامت ، ومنهم من يعمل بيديه ومن يعمل بعقله ، ومنهم من جاء من بلدة صغيرة أو مدينة كبيرة أو ضيعة هادئة . فهم رجال من جميع المشارب والبيئات ، ولكن تحدوهم جميعاً روح واحدة سواء أمكنهم أن يتحدثوا عنها أم لا . نعم هنالك روح وهنالك فكرة .

ما هى هذه الروح ؟ ما هى هذه الروح الأمريكية ؟ ما هى هذه الفكرة الأمريكية ؟

كيف بدأت ؟ وماذا أوجدها ؟ وماذا تدل عليه الولايات المتحدة ، لا باعتبارها أمة كبيرة غنية تنتج كثيراً من السيارات وآلات الراديو والثلاجات والصور المتحركة وأدوات المراحيض ، ولكن باعتبارها دولة قوية حية فى العالم ؟

لننظر إلى ما سجله التاريخ ، لننظر إلى الحقائق . فإنك إذا أردت أن تعرف إنساناً على حقيقته تعين عليك أن تسأل عن أبويه وأسرته والمنزل الذى يعيش فيه والطريقة التى نشأ عليها . فلنفعل ذلك إذاً مع الولايات المتحدة . كيف بدأت ؟ ولم ؟

البذور الأولى عبر المحيط

بدأت الولايات المتحدة مجموعتين صغيرتين من أناس ذوى عزائم قوية كافحوا كفاح الأبطال فى أرض موحشة برية . وقد نزلت إحدى هاتين المجموعتين فى جَيمستَون Jamestown من ولاية فِرْجِنْيا Virginia ، والأخرى فى پلِيمُوث Plymouth من ولاية ماساتشُوسِتْس Massachusetts .

ولم يكن هؤلاء القوم أول من استوطن أمريكا الشمالية إذ سبقهم إليها آخرون بأكثر من قرن . فقد نزل بها من قبل المستكشفون الإسبانيون العظماء ، دى سوتو De Soto وكورونادو Coronado وكابيزا دى ڤاكا Cabeza de Vaca ، وهاموا فى فيافيها وتحملوا المشاق وعادوا بأخبار سهولها المترامية ، وأنهارها العظيمة ، وغاباتها التى كان يقطنها الهنود الحمر . كما أن صيادى السمك الفرنسيين أقوياء الشكيمة كانوا قد اكتشفوا منطقة الصيد العظمى التى تقع فى شمال المحيط الأطلنطى . وكانت ولاية فلوريدا Florida إذ ذاك مستوطنة وسواحل كندا معروفة للملاحين الشجعان . وكل من مدينة سَينت أوجستين Saint Augustine بولاية فلوريدا ومدينة سانتا فى Santa Fe بولاية

نيو مكسيكو New Mexico أقدم من مدينتى چيمستون و پليموث . ومع ذلك فقد شاءت الأقدار أن يبدأ تاريخ الولايات المتحدة فى هاتين البقعتين الواقعتين فى منطقة ساحل المحيط الأطلنطى .

لقد حاول من قبل مستوطنون من الإنجليز أن يستوطنوا هذه البلاد ولكنهم فشلوا . ونزلت جالية رالى Raleigh فى روانوك Roanoke فابتلعتها الغابات ولم يبق لها من أثر سوى اسم كرواتان Croatan المحفور على جذع شجرة هناك وسوى أسطورة تتردد على الألسن . ولكن فى اليوم الرابع والعشرين من شهر مايو سنة ١٦٠٧ جاءت إلى شبه جزيرة منخفضة السطح واقعة فى نهر چيمس ثلاث سفن صغيرة ، ولم يكن غرضها الغزو أو السلب ، بل إنزال رجال يستوطنون الأرض .

فأى الرجال كان هؤلاء ؟ ولم وفدوا ؟ وما هى القوانين والعادات التى جاءوا بها من العالم القديم إلى العالم الجديد ؟

لقد كانوا مغامرين . لقد جاءوا ليبحثوا عن الذهب والثراء العاجل كما فعل كثيرون غيرهم فى أماكن عديدة . كانوا مبعوثى شركة ڤرچنيا التجارية التى رمت إلى جلب مكاسب من وراء هذه المغامرة . هذه حقيقة من الحقائق .

على أنهم وإن كانوا مغامرين لم يكونوا مجرد بعثة حربية

خاضعة للقوانين العسكرية . فإنهم أرسلوا إلى هنالك ليكونوا مستوطنين ، ليبنوا مساكن ، ويعبّدوا طرقاً ، وينشئوا كنائس ، وليختبروا الأرض وصلاحيتها لسكنى الإنجليز . وهذه مسألة ذات شأن . نعم لم يكونوا أرقاء ولكنهم كانوا رجالاً أحراراً . وهذه مسألة أخرى لها شأن أيضاً .

ولدينا العهد الملكي وخطاب التعليمات التي استرشد بها هؤلاء الرجال ، وفي هاتين الوثيقتين أمران هامان .

أما الأول فهو أنهم ، وإن كانوا ذاهبين إلى أطراف الأرض — كما كان الاعتقاد سائداً عن أمريكا حينذاك — ستظل حقوقهم مكفولة لهم كإنجليز حتى في تلك الأطراف . وكما جاء في قول ملك الإنجليز يجب « أن يكون لهم جميع الحريات وحق التصويت في الانتخاب والامتيازات في أية جهة من ممتلكات التاج الأخرى ، وأن يتمتعوا بها ، ويتعاملوا كما لو كانوا مولودين وقاطنين في مملكتنا إنجلترا نفسها » . وبعبارة أخرى كان للرجل الذاهب إلى جيمستون أن يتمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها المقيم في إنجلترا . فلا يجوز أن يستغل استغلالاً فاحشاً ، أو يضطهد ويظلم . وله أن يلجأ إلى القانون وأن يتمتع بكل ما يتمتع به الإنجليزي في بلاده من حقوق .

أما ثاني الأمرين فهو أن يتولى الحكم بين هؤلاء الرجال في

ڤرچنيا رئيس له مجلس شورى يسدى إليه النصح ؛ فلا يكون هنالك حكم دكتاتورى .

وهكذا نزل هؤلاء الرجال — وعددهم مائة وخمسة — إلى چيمستون وتاريخهم حافل بضروب الشجاعة والمقاساة والمشقات . فإن هؤلاء الإنجليز ذوى الوجوه النضرة قد جاءوا إلى أرض غريبة عليهم كغرابة ما بالقمر من فوهات بركانية وجبال علينا اليوم . لقد كان كل شيء جديداً وغريباً عليهم: الطيور والحيوانات والأزهار والهنود الحمر وحرارة الصيف حتى طعم الماء الذى فى النهر . لقد تولاهم الرعب والدهشة وشعروا بحنين إلى وطنهم كالأطفال . لقد ماتوا من الحمى والجوع وسهام الهنود . لقد حاربهم الهنود تارة وصادقوهم تارة أخرى ولم يدر المستوطنون متى الوئام ، ومتى الخصام ، ولماذا . وقد وصلت الحال بالبقية الباقية منهم أن يلجأوا فى سنة من السنين إلى أن يهجروا چيمستون ويفروا فى قوارب حملتهم من النهر نحو المصب . فلما دخلوا فى الخليج التقوا بسفن قادمة من إنجلترا لمساعدتهم ، فرجعوا بها إلى چيمستون ليبدأوا جهادهم مرة أخرى . وقد تطلب ذلك منهم شجاعة عظيمة واستبسالاً ولكنهم مع ذلك رجعوا .

وكان من بين أسمائهم سميث Smith و پرسى Percy و براون Brown وألكوك Allcock ومدْوِنتر Midwinter وسارْچنت

Sergeant ومارتن Martin ولقد كانوا البذور التى تطايرت عبر الماء ، فمنهم كثير هلك ، وقليل بقى ونما وأينع .

لم يجدوا ذهباً ولم يكتسبوا مالاً عاجلاً ، ولكن بعد انقضاء اثنتى عشرة سنة فى كد وكفاح أنشأوا مستعمرة فجاءت إليها النساء وولدن البنين والبنات .

وفى اليوم الثلاثين من شهر يوليو سنة ١٦١٩ اجتمع مجلس ڤرچنيا الأول فى كنيسة چيمستون الخشبية على حافة اللانهائية . وقد حضر يومذاك الحاكم ومستشاروه واثنان وعشرون نائباً يمثلون إحدى عشرة جالية بالمستعمرة . وفى تلك الأيام الحارة من شهر يوليو عمل المجتمعون متعاونين وأقروا قوانين ولوائح عدة كانت ضرورية لهم . فمثلاً لم يكن لأحد أن يذبح الماشية إلا بإذن من الحاكم إذ كانت الماشية نادرة حينذاك . وإذا سرق أحد قارباً من جاره أو من أحد الهنود عوقب على فعلته . وكان على القسس أن يقدموا كل عام تقريراً عما قاموا به من عقود الزواج ومراسيم الموتى والتعميد . وكان غير ذلك من القوانين . ومما يلفت النظر هنا أن اثنين وعشرين رجلاً غير الحاكم ومستشاريه لعبوا دوراً فى وضع هـذه القوانين ؛ فقد اجتمعوا وتناقشوا وقالوا ما شاءوا أن يقولوا عن حياتهم والطريقة التى أرادوا أن تسير الأمور وفقاً لهـا .

نعم لم تكن الحكومة بعد متمتعة بالحكم الذاتى — لم تكن كذلك قط — ولكن فكرة كانت قد نبتت ؛ إذ رأى هؤلاء الرجال الذين عبروا المحيط ليكافحوا هذه البرية الموحشة أن لهم الحق فى أن تسمع كلمتهم فى الطريقة التى يريدون أن يحكموا بها . واعترفت لهم الحكومة الإنجليزية بهذا الحق إذ اعتبرته أمراً يقبله العقل السليم . وكان لا بد أن تنشأ فى المستقبل مخاصمات وصعوبات كثيرة بين الحاكم والنواب ، ولكن ظل النواب يمثلون سكان المستعمرة ويدافعون عن مصالحها. وسيرد ذكرهم مرة أخرى . على أن بذور الحرية قد أخذت تمد جذورها فى تلك الأرض الخصبة بين صفوف أشجار التبغ وتحت سماء ڤرچنيا الدافئة.

وكان فى أثناء تلك الفترة أن بدأ أمر آخر سجله لنا چون پورى John Pory بعد ما وصل من إنجلترا سنة ١٦١٩ ليكتب وصفاً عن أحوال ڤرچنيا فقد ذكر :

« إن راعى البقر هنا يرتدى فى أيام الأحد رداء من الحرير الزاهى اللماع ، وإن زوجة العامل من عمال مناجم الفحم تلبس قبعة يزينها عقد من اللؤلؤ . »

هذا هو الأمر الآخر .

لم يهم العالم الجديد فى قليل ولا كثير ما إذا كان النازح إليه نبيلاً قبل قدومه أو راعى بقر . فإذا ما صادف نجاحاً فى هذا العالم

الجديد فإن لزوجته أن تلبس ثوباً من الحرير دون استغراب من أحد . ولطالما كان هذا الأمر جزءاً من الحكم الأمريكى ؛ وهو أن يعطى كل فرد فرصة ليظهر مواهبه و ينبه شأنه فى العالم ، وأن لافضل لأحد على غيره بسبب ما لأبويه من مال أو ألقاب أو سلطان .

والآن دعنا نذهب شمالاً أبعد من ألف ميل إلى شاطىء أشد قسوة وأكثر برودة ، إلى شاطئ نيو إنجلند New England فى الشتاء .

فى اليوم الحادى عشر من شهر نوفمبر سنة ١٦٢٠ نزل إلى ذلك الساحل جماعة المهاجرين Pilgrims من سفينة اسمها « مَيفلَور » Mayflower

من كان هؤلاء المهاجرون ؟ ولم نزحوا إلى أمريكا ؟ أكانوا مغامرين ، أم فاتحين ، أم منقبين عن الذهب ؟

كلا، إنهم لم يكونوا شيئاً من ذلك قط. فقليل ممن حملتهم هذه السفينة جاءوا بغية الحصول على أرض و إنشاء مزرعة تكون ملكاً لهم . والسواد الأعظم جاءوا لسبب آخر ، جاءوا لأنهم أرادوا أن يعبدوا الله على طريقتهم الخاصة ، طريقة أساسها البساطة والإيمان الخالص ، طريقة غير تلك التى تتبعها الكنيسة المعترف بها فى إنجلترا حينذاك .

كانوا فى الغالب رجالاً ذوى أسرات . فقد أحضروا معهم نساءهم وأطفالهم فى سفينة صغيرة تتلاعب بها الأمواج . واستغرقت رحلتهم أربعة وستين يوماً ، وولد أثناء هذه الرحلة طفل كما ولد طفلان آخران عقب الوصول مباشرة . وكان عدد الجماعة لا يعدو المائة بكثير . نعم لقد ساعدت هؤلاء المهاجرين فى مغامرتهم شركة إنجليزية أخرى بأموال المساهمين فيها . ولكن كان العمودُ الفقريُّ لهذه المغامرة هو أولئك الرجال الهادئين ذوى الأسرات ، الذين أحضروا معهم زوجاتهم وأطفالهم إلى ساحل فى أقصى الأرض .

لماذا أقدموا على هذا العمل الجنونى ؟ ولماذا خاطروا هذه المخاطرة ؟ إنهم لم يؤمروا أو يرشوا لعمل ذلك . لقد تجشموا العناء والألم طائعين ، واقتلعوا أنفسهم من بيوتهم تاركين وراءهم كل ما كان محبباً إليهم : من ذكريات الطفولة إلى تلك الأدوات المنزلية التى يراها الإنسان وتعلق بذاكرته ، ولكنه لا يستطيع أخذها معه فى سفره لضيق المكان .

أرادوا أن يعبدوا الله على طريقتهم الخاصة . نعم لقد عقدوا العزم على أن يعبدوا الله كما يشاءون .

وفى الحقيقة أنهم بدأوا رحلتهم فى شمال إنجلترا قبل ذلك بسنوات . وكان منهم المزارعون ، وأجراء الحقل ، ووكيل مكتب البريد ، والواعظ ، والصبى الذى تعود أن يطيل السهر فى قراءة الكتب .

وكانوا قد رفضوا أن يتعبدوا على الطريقة التى رسمتها لهم الكنيسة ، وأصرّ أولو الأمر من الإنجليز على أنهم يجب عليهم أن يفعلوا ذلك فرفضوا ، ونالهم من جراء الرفض صعوبات . فرحلوا إلى هولندا وعاشوا هناك عيشة هادئة معتدلة ، ذلك لأنهم كانوا قومًا كادحين مستقيمين ، ولكنهم مع ذلك كانوا يتطلعون إلى مكان خاص بهم يعيشون فيه كما يشاءون . و بعد مضى عدة سنوات، و بعد أن كافحوا كفاحاً عظيماً، وجدوا المكان المنشود عبر المحيط . وما إن وقع نظرهم عليه حتى امتلأت قلوبهم فرحاً .

ولكن من سيكون حاكمهم فى هذه الأرض الجديدة ؟ وما هى الطريقة التى ستدار بها شئونهم ؟

إنه لأمر يحتاج لشىء من الإيضاح .

لم يكن هؤلاء المهاجرون خداماً أو أرقاء أو مأجورين لأصدقائهم الأغنياء بإنجلترا ، بل كانوا شركاء فى مشروع واحد . فقد دفع المتمول بإنجلترا عشرة جنيهات ثمناً لكل سهم ، أما المهاجر الذى لم يكن ذا مال فقد ساهم بنفسه ، ساهم برغبته فى أن يعبر المحيط و يشترك فى بناء مستعمرة . وكان الاتفاق أنه عند انقضاء سبع سنوات يقسم رأس المال والأرباح بين الشركاء بنسبة ما ساهموا به . فإذا ما سارت الأمور بنجاح نال كل شريك ما يريد ؛ نال المتمول الربح ، وحظى غير المتمول بأرض تأويه وبيت يسكن فيه .